

ثقافة الحوار الأسري ودورها في وقاية الأبناء من الانحراف في المجتمع الجزائري المعاصر

جامعة البليدة -2-

جامعة البليدة -2-

الدكتورة: طايبي رتيبة

الأستاذة: بوشول ليلى

تاريخ النشر: 2020/12/03

تاريخ القبول: 2020/11/ 22

تاريخ الاستلام: 2020/11/20

ملخص:

تعد ثقافة الحوار الأسري وسيلة بنائية علاجية تساعد في حل كثير من المشكلات الانحرافية التي تواجه الأبناء فمن خلالها يتحقق التواصل بين أفراد الأسرة وتدعم العلاقات الأسرية. ومنه يجزم استعمال العنف داخل الأسرة الجزائرية غياب ثقافة الحوار ووجود أزمة اتصالية تترجم تعذر تغليب لغة الحوار في الحياة الأسرية، وهو ما يرتبط ببروز أزمات نفسية وسلوكيات انحرافية لدى الأبناء. هذا ومن بين الأسباب التي كان لها أثر بالغ في غياب ثقافة الحوار في الوسط الأسري الجزائري تأثير أساليب التربية التقليدية وتعرض الأسرة للتغيرات في بنيتها، إلى جانب الانتشار الواسع لتكنولوجيا المعلومات والاتصال والبعث الفضائي الذي عمل على إضعاف الروابط الأسرية وتقليل فرص التحوار والتواصل بين أفراد الأسرة.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، ثقافة الحوار الأسري، الوقاية من الانحراف، المجتمع الجزائري المعاصر.

Abstract:

The culture of family dialogue is considered a therapeutic constructive method that helps solve many delinquent problems facing children. From this, the use of violence within the Algerian family

asserts the absence of a culture of dialogue and the existence of a communication crisis, which is linked to the emergence of psychological crises and deviant behaviors among children. Among the reasons that have had a great impact in the absence of a culture of dialogue in the Algerian family milieu is the influence of traditional education methods, the exposure of the family to changes in its structure, and the widespread spread of information and communication technology and satellite broadcasting.

Key words: the family, the culture of family dialogue, the prevention of delinquency, the contemporary Algerian society.

مقدمة:

تعتبر الأسرة الأساس الاجتماعي الذي تنمو فيه بذور الشخصية الإنسانية وتتحدد فيه أصول التطبيع الاجتماعي فشخصية الطفل تتكون من خلال تفاعله مع أسرته. وترجع أهمية دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية باعتبارها المكان الأول الذي يتم فيه بلورة الاتصال الاجتماعي الذي يمارسه الطفل في بداية سنوات حياته والذي ينعكس على نموه الاجتماعي فيما بعد، ويعتبر في ذلك الآباء نموذجا وقدوة والمثل الذي يجب على أطفالهم الاقتداء به (شليغم غنية، حماني فضيلة، ص.4). وإذا كانت الأسرة هي النواة الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية التي تتولى تنشئة أطفالها أو أفرادها في مراحلهم العمرية المختلفة فإن نمط العلاقات الإنسانية القائم داخل هذه الأسرة هو الذي يحدد طبيعة القيم التي سيتشبع بها الفرد، من تعلم للتسلط والاتكالية والعجز والاعتماد على الآخرين وسهولة الانقياد لضعف الشخصية، أو على طرف النقيض من ذلك من تعلم لقيم النقاش والحوار والتسامح وقبول الآخر وقوة الشخصية والقدرة على الابتكار والإبداع (عبد العزيز الخضراء، 2014). ويقول في هذا الإطار علماء التربية "إن الطفل السعيد هو الطفل الذي يعبر عن مشاعره عندما يشعر بها ولا يتركها تتراكم بحيث تظهر بعد ذلك في تعابير مدمرة". وهذا يعني أن المشاكل السلوكية الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع يمكن أن ترد بشكل أو بآخر إلى ظاهرة الصمت والعزلة داخل البيت الأسري، فجنوح الأبناء وانعزالهم عن الأبوين راجع إلى شعورهم بالاختلاف التام

وعدم القدرة على الانتماء لكيان الأسرة نتيجة غياب ثقافة الحوار وضعف الاتصال الأسري الفعال (تيلوي عابد، عاشور زينة، 2013، ص.7).

وعليه تعد ثقافة الحوار وسيلة بنائية علاجية تساعد في حل كثير من المشكلات الانحرافية التي تواجه الأبناء الشباب، كما أنها الوسيلة المثلى لبناء جو أسري سليم يدعم نمو الأطفال ويؤدي بهم إلى تكوين شخصية سليمة قوية ايجابية تقيمهم من الانحراف، وتدعم العلاقات الأسرية بشكل عام علاقة الآباء بالأبناء وعلاقات الأزواج فيما بينهم، فمن خلال ثقافة الحوار تنمو المشاعر الايجابية داخل الأسرة ويتحقق التواصل بين أفرادها ويساعد على إشاعة روح المحبة والمودة بينهم. ويعد الحوار الأسري أساس العلاقات الأسرية المتينة ويساهم في التقريب بين وجهات النظر ويتعلم الأبناء أهمية احترام الرأي الآخر، ويساعد على نشأة الأبناء نشأة سوية صالحة لما يخلق من روح التفاعل الاجتماعي وتعزيز ثقتهم بأنفسهم وتأكيد ذواتهم، حيث ينمي استقلال الأطفال ويشجعهم على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم فالطفل الذي يتحاور في المنزل ويجد من يسمعه يخرج للعالم وهو يشعر بأنه إنسان له الحق في أن يسمعه الآخرون وأن يعبر عن آرائه ويطالب بحقوقه، وتظهر آثار الحوار من خلال تصرفات الأبناء والتعبير عن مشاعرهم سواء أكانت عدائية أو مشاعر قلق وخوف أو صراعات نفسية.

هذا بالإضافة إلى أن الحوار بين الآباء والأبناء يؤدي إلى التآلف والتعاطف وبناء علاقة ودية حيث يشعر كل من الطرفين بقرب الطرف الآخر منه، واهتمامه بمشكلاته يؤدي أيضا إلى التكاشف وإزالة الغموض، وقد تطور الحوار العلاقة بين الآباء والأبناء إلى علاقة صداقة فتتلاشى الحواجز المعهودة التي وضعت منذ أقدم الأزمنة، والتي كانت تمنع الأبناء من الإفصاح عما يجول في خاطرهم. وفي هذا السياق تقول الدكتورة "نجوى نادر" ".....إن تعلم الحوار وممارسته في الحياة الزوجية والأسرية من أهم العوامل التي تحقق الانسجام والتفاهم الزوجي والاستقرار الأسري النفسي الذي يخلق البيئة الملائمة لنمو سليم للأطفال. ويعد الحوار من أهم العوامل المؤدية إلى استقرار العلاقات الزوجية حيث أن انعدام

الحوار بين الزوجين يعتبر من أهم الأسباب المؤدية إلى الطلاق....." (موسوعة زنوبيديا، 2011).

إن الأسرة التي يتحاور فيها الزوجان لا تدخلها الأمراض الاجتماعية فلا وجود فيها لأمراض الاستبداد أو المفاجآت غير المتوقعة أو تقوقع الزوجين أو الأبناء حول أنفسهم، فالأسرة التي تريد أن تحصن بيتها في سبيل سعادتها تحتاج إلى تفعيل ثقافة الحوار بين أفرادها تقوم على تفاعل حوار متجانس لما له من إيجابيات ومن ذلك تقوية الجانب الإيماني. فضلا عن ذلك لابد أن يدرك الوالدان أن الحوار مع الأبناء ينمي سلوكياتهم في التعامل مع الآخرين واحترام آرائهم والبعد عن روح التعصب للأراء والمقترحات (حصبة بنت عبد الرحمن الوائلي، 2010، ص.ص. 71، 76). على أن غياب ثقافة الحوار يبدأ من خلال علاقة الأب مع أبنائه والقائمة على قانون التسلط الذي يحكم تلك العلاقة، فيغرس الأب الخوف والطاعة في نفوس أبنائه فيحرمهم من النقد الحواري فيما يتعلق بشؤون الأسرة ويتعرضون إلى قائمة لا متناهية من الأوامر والنواهي باسم التربية الخلقية، وبذلك في حالة غياب ثقافة الحوار في الوسط الأسري يسود التسلط والعنف الذي من شأنه أن يولد عند الأبناء الشباب إحساسا بانعدام الثقة وعدم التوازن وفقدان القدرة على التفكير والتحاور، وإذا ما تسربت ثقافة القمع والتسلط إلى الشباب مع بعضهم البعض فستنتقل بدورها إلى طريقة تفكيرهم وحديثهم ومفرداتهم، وسيؤثر ذلك بالتالي على علاقتهم ببعضهم ومن ثم سيؤدي إلى خلق العنف الاجتماعي (خيّام محمد الزعبي، 2013).

وبناء على ما تقدم تتمحور مشكلة الدراسة المتناولة بالتحليل ضمن هذه الورقة البحثية حول التساؤل الرئيسي الآتي:

إلى أي مدى يمكن لثقافة الحوار الأسري أن تسهم في وقاية الأبناء من الانحراف في المجتمع الجزائري المعاصر؟

ومنه تهدف هذه الورقة البحثية إلى تناول بالتحليل إشكالية ثقافة الحوار الأسري ودورها في وقاية الأبناء من الانحراف في المجتمع الجزائري المعاصر، وذلك من خلال ابراز واقع ثقافة الحوار في الوسط الأسري الجزائري في ظل التغيرات التي

ثقافة الحوار الأسري ودورها في وقاية الأبناء من الانحراف
في المجتمع الجزائري المعاصر

أصابت الأسرة في بنيتها وأثرت في أداء هذه الوحدة الاجتماعية الأساسية لوظيفتها في التنشئة الاجتماعية. كما تهدف أيضا إلى تحديد الدور الفاعل الذي يمكن أن تؤديه ثقافة الحوار الأسري في وقاية الأبناء من المخاطر والانحرافات التي قد يقعون فيها، مع التأكيد على ضرورة تفعيل ثقافة الحوار في المحيط الأسري بالمجتمع الجزائري المعاصر، وتنمية الوعي لدى الأسرة الجزائرية بأهمية تعزيز ثقافة الحوار لدورها المحوري في المحافظة على استقرارها وحمايتها من احتمالات التفكك والتصدع.

1. الإطار المفاهيمي لثقافة الحوار الأسري:

قبل الخوض مباشرة في تحديد مفهوم ثقافة الحوار الأسري سنقوم بادئ ذي بدء بتحديد بعض المفاهيم المرتبطة بها وهذا وفقا للشكل التالي:

1.1. مفهوم الحوار:

الحوار لغة يعني المجاورة والمجادلة والمراجعة (مصطفى يوسف كافي، ص.11). ويذكر "ابن منظور" أن معنى حور هو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وحوار إلى الشيء وعنه حوارا ومحاورا ومحارة رجع عنه. وبين أن المحاورة تعني المجاورة والتحاور هو التجاوب، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة تعني مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. والحوار اصطلاحا هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام فيما بينهما بصفة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب (مصطفى يوسف كافي، ص.11). ويقصد بالحوار "المراجعة في الكلام - والحوار من المحاورة - وهو حديث بين طرفين أو عدة أطراف لعرض وجهات نظرهم حول مسألة ما بقصد التوصل إلى حل أو نتيجة مناسبة لجميع الأطراف المتحاورة" (حصبة بنت عبد الرحمن الوائلي، 2010، ص.19).

2.1. مفهوم الحوار الأسري:

يقصد بالحوار الأسري "ذلك التفاعل والتواصل السلوكي واللفظي بين أفراد الأسرة الذي يرمى من ورائه تحقيق هدف وهو علامة النضج الأسري ويدل على

الإيمان بثقافة الحوار" (متابعات ينابيع، 2010). ويعرف أيضا بأنه " هو التفاعل بين أفراد الأسرة الواحدة والحديث عما يتعلق بشؤون الأسرة من أهداف ومقومات وعقبات، ثم يتم وضع حلول لها عن طريق تبادل الأفكار والآراء الجماعية من خلال محاور متنوعة مما يساعد في تنمية جو الألفة والتواصل".

ومن أساليب الحوار الأسري اكتساب الأزواج أسس فاعلية الحوار والمشاركة مع تنويرهم بالطرق والمهارات والمعارف الضرورية التي هي السبيل الأساسي في المحافظة على استقرار الأسرة، وتوعية أفرادها بأهمية التواصل والتأزر العائلي فيما بينهم وتعزيز الجوانب السيكولوجية والفسولوجية والصحة النفسية لجميع أفراد الأسرة، وزيادة مساحة الحوار غير اللفظي حيث يشمل الإشارات والرموز والنظرات واستخدام الأساليب العقلية في التربية والبعد عن العقاب البدني، وإظهار الأبوين مثلا يحتذى به أمام الأبناء ليقى الأسرة من التفكك والارتباك لأن الأسرة تعد نقطة البدء التي تزاوّل تنشئة الإنسان وهي المؤثرة في مراحل الحياة إيجابا وسلبا. ولهذا أبدى الإسلام عناية خاصة بالأسرة المنسجمة مع الدور المكلفة بأدائه فوضع الأساسيات والقواعد وضبط شؤونها وتوزيع الاختصاصات وتحديد الواجبات لينشأ الأبناء نشأة سليمة متوازنة في جميع جوانب الشخصية الفكرية والعاطفية والسلوكية. فالعلاقات الأسرية لها دور كبير في توثيق بناء الأسرة وتقوية التماسك بين أعضائها ولها تأثيراتها على نمو الأبناء وتنشئتهم (حصّة بنت عبد الرحمن الوائلي، 2010، ص. ص. 26، 27).

3.1. مفهوم ثقافة الحوار الأسري:

لاشك أن البشرية وصلت إلى مرحلة إدراك أهمية ثقافة الحوار بكونها مجموعة مبادئ وممارسات تجعل المجتمع البشري أكثر أمنا وسعادة. ومنه فقد عرف عدد من الباحثين ثقافة الحوار بأنها "إنتاج خطابي وسلوكي يستند إلى قيم حية يؤدي فيه الحوار الدور الأساسي" (فهد بن عبد الله البكران، 2014، ص.1). هذا وتعرف ثقافة الحوار الأسري بأنها "هي نمط وأسلوب التعامل السائد في المحيط الأسري وما يشمل من قيم دينية وخلقية وفكرية وسلوكية وذوقية

بالإضافة إلى العادات والاتجاهات، مما ينعكس على احترام جميع أطراف الحوار بشكل متوازن يحول دون سيطرة طرف واحد على مجريات الحوار داخل الأسرة".

وثقافة الحوار الأسري تشيع من خلال نشأة الأولاد وتفاعلهم بعضهم مع بعض وتكوين شخصياتهم وتوجيه سلوكهم من خلال العلاقات الأولية الحوارية التي يقوم بها أفراد الأسرة باشتراك الأبوين، وتنمو خبراتهم عن طريق الحب والعاطفة والحماية ويزداد وعيمهم بذاتهم (حصّة بنت عبد الرحمن الوائلي، 2010، ص.ص.19-88). ومن الباحثين من يعرف ثقافة الحوار الأسري بأنها "هي أسلوب الحياة الذي يفترض أن يكون سائدا في الأسرة بين الآباء والأبناء ليكون عاملا مدعما للتفاهم، وركيزة أساسية للانسجام والتعايش والاتفاق على صيغة تقبل الآخر وأفكاره وثقافته واحترامها مهما كانت متناقضة مع أفكاره وصولا إلى صيغة تقارب في الأفكار التي تتبلور إلى أن تصبح مشتركة". كما جاء في تعريف ثقافة الحوار الأسري "أنها هي الثقافة التي تؤسس لعلاقة ناضجة العناصر ووثيقة بين الآباء والأبناء علاقة يخيم عليها التواصل والتفاهم في المحيط الأسري، ويتعلم الأبناء خلالها أساليب المناقشة الهادئة المريحة البعيدة عن التزمّت والعناد، وتعمق لديهم قناعات اجتماعية ايجابية تؤهلهم للتكيف مع المجتمع".

وعليه فإن ثقافة الحوار تعني بذلك احترام الرأي الآخر واحترام الذات الإنسانية للأبناء فلا نفرض عليهم آراءنا بوصفنا آباء مجربين علمتنا الحياة، وإنما نساعدهم على أن تتأصل فيهم هذه العادة الحميدة فيتمتعوا بثمار نتائجها عبر مساهماتهم في الحوار، وعندئذ تتحقق الصورة الجميلة التي رسمها المثل الشعبي عن مستقبل العلاقة بين الآباء وأبنائهم "إذا كبر ابنك خاويه"، أي بمعنى اتخذه أخا لك وتعامل معه في إطار هذا المفهوم فتتحول علاقة البنوة إلى علاقة صداقة تنفض عن الأولى قيود الحاجة ولكنها تسمها بطابعها الحيوي فتنشأ علاقة دافئة بالغة الإنعاش للطرفين. وبهذا السلوك نمهد لدخول عالم الأبناء الخاص ومعرفة احتياجاتهم فيسهل التعامل معهم ما يساعد الآباء على تنشئة أبنائهم تنشئة سوية بعيدة عن الانحراف، وتحت مظلة ثقافة الحوار تنمو شخصية الأبناء نموا

متوازنا وتتعمق ثقمتهم بأنفسهم فأراؤهم تحترم وتناقش باهتمام، ويتولد لديهم الدافع إلى التفكير السوي بعيدا عن التعليمات والإملاءات فيصلون إلى أهدافهم ببطنة ومحاكمة عقلية تختزن ثروة من التجارب والخبرات (عبد العزيز الخضراء، 2010، ص.1).

2.أنواع الحوار الأسري:

هناك نوعين أساسيين من الحوار يمكن أن نجدهما في المحيط الأسري هما

كالآتي:

1.1.الحوار الايجابي:

وهو نوع الحوار الذي يساعد على دعم الروابط بين الزوجين وينمي لغة التفاهم مع الأبناء ويتطلب مهارة في التعبير ومهارة في الإنصات، فهناك ثلاثة أمور تميز الأسرة الأكثر حوارا واندماجا وهي: تبادل رسائل واضحة ومباشرة، الاستماع الفاعل والتعبير اللفظي وغير اللفظي، ويكون ذلك بأحد الطرق الآتية:

- الحوار النقاشي: وهو من أكثر الأساليب التي يتم من خلالها الحوار بين طرفين خصوصا في الأمور التي تنحى منحى الجدبة أكثر وقد تختصر مراحل كثيرة في التفاهم بين الطرفين، وكثير من الأسر لم تتعود على هذا النوع من الحوار الزوجي مع أهميته وتأثيره الكبير في الحياة الزوجية. فالأولى بالزوجين عدم غلق هذا النوع من أنواع الحوار بل يجب طرح أي موضوع خصوصا فيما يتعلق بحياتهما بوصفهما زوجين وبما يتعلق بأمور أبنائهم ليتم الحوار فيه والاتفاق حوله.

- الحوار العابر: وهو من أكثر أنواع الحوارات الشائعة داخل الأسرة بين الزوجين أو مع الأبناء، وممارسة هذا الحوار عادة يكون تلقائيا وبدون الشعور أنه حوار كالتعليق على حدث ما أو شرح لموضوع معين، فمثل هذه المداخلات تكون مدخلا جيدا مناسباً للحوار.

- الحوار عن طريق العيون: في كثير من الأحيان تجد العيون وسيلة من الوسائل التي تعبر عن كثير من الكلام، فقد يحاور الإنسان شخصا آخر ويفهم من عينيه أكثر مما يفهم من كلامه فنظرات الإنسان وحركاته هي جزء من حوار مع أي طرف.

- الحوار الشعري الايجابي: ليس شرطاً أن يكون الحوار الأسري للمسائل الخلافية فقط أو للاتفاق حول أمر ما فقد يكون هناك حوار يتبادل فيه الزوجان المشاعر العاطفية وأحاسيس كل طرف تجاه الطرف الآخر، وهناك حوار شعري وإطراء ايجابي على سلوكيات الأبناء فهذا من شأنه أن يزيد الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة ويقوي روابط الحب بينهم، فتستخدم المشاعر الايجابية في إيقاف دائرة الخلاف الأسري.

- حوار مرآة الآخر: وهو نوع من الأنواع المهمة ويعني وضع الذات في مكان الشخص الآخر ويرتبط ذلك ايجابيا بالرضا عن العلاقة والعكس صحيح، فينتج عن ذلك أن يعدل أفراد الأسرة سلوكهم في المواقف الاجتماعية المختلفة كنتيجة لفهم وجهة نظر الآخر، فالأسرة القادرة على وضع وجهة نظر الآخر في الحسبان تظهر اهتماما أكبر بحاجات الآخر واهتماماته ورغباته.

2.2. الحوار السلي:

يعد التواصل اللفظي الخاطئ أو ما يسمى بالحوار السلي مصدرا للمشكلات الأسرية فهذا النوع من الحوار يسبب قدرا كبيرا من الإحباط لدى أفراد الأسرة فتتضح على ملامحها الحياة غير السعيدة، وذلك لأنهم كثيرا ما يعقدون مشكلاتهم ويزيدونها توترا عن طريق التواصل اللفظي الخاطئ، حيث يكون التعبير غير واضح وكامل مشحون بالتصيد على كلمات الطرف الآخر ويكون ذلك بأحد الطرق الآتية:
- الحوار التعجيزي: وفيه لا يرى أحد طرفي الحوار أو كلاهما إلا السلبيات والأخطاء والعقبات وينتهي الحوار إلى أنه لا فائدة.

- حوار المناورة (الكر والفر): حيث ينشغل الزوجان أو أحدهما بالتفوق اللفظي في المناقشة بصرف النظر عن الثمرة الحقيقية والنهائية لتلك المناقشة، وهو نوع من إثبات الذات بشكل سطحي.

- الحوار المبطن: وهنا يعطي ظاهر الكلام معنى غير ما يعطيه باطنه وذلك لكثرة ما يحتوي من التورية والألغاز المهمة وهو يهدف إلى إرباك الطرف الآخر.

- الحوار التسلطي (اسمع واستجب): هذا الحوار هو نوع شديد من العدوان حيث يلغي طرف كيان الطرف الآخر ويعده أدنى من أن يحاور، بل عليه فقط الاستماع إلى الأوامر الفوقية والاستجابة دون مناقشة أو تضجر.
- الحوار المغلق: كثيرا ما تتكرر تلك العبارة فيه "لا داعي للحوار فلن نتفق" وهو نوع من التعصب والتطرف الفكري وانحسار مجال الرؤية.
- الحوار العدواني السليبي: وهو اللجوء إلى الصمت والعناد والتجاهل رغبة في مكايدة الطرف الآخر بشكل سلبي دون التعرض لخطر المواجهة (حصاة بنت عبد الرحمن الوايلى، 2010، ص.ص.67-70).

3. إشكالية ثقافة الحوار وانحراف الأبناء في ضوء واقع الأسرة الجزائرية:

تتشعب الثقافة العربية المعاصرة بمضامين العنف والتسلط التي تأخذ مداها في عمق الحياة الواعية وغير الواعية الشعورية واللاشعورية للإنسان العربي، وتدخل هذه القيم التسلطية في نسيج الحياة الاجتماعية الثقافية لتشكيل عنصرا حيويا في بنية هذه الثقافة ووجودها. ومن هذا المنطلق تشير أغلب الدراسات العربية الجارية في ميدان التنشئة الاجتماعية العربية إلى شيوع أنماط التربية المتسلطة المحافظة، والتي تسعى إلى بناء شخصيات مطواعة تميل إلى الإذعان والتبعية وتنتفي فيها إمكانيات النقد والحوار والمناقشة والإبداع، فالتسلط يؤدي إلى حالة من ضعف الثقة بالنفس وفقدان القدرة على ممارسة الأدوار الايجابية، وميل كبير إلى الخضوع والاستكانة لكل أشكال السلطة ومن ثم فقدان المبادرة الذاتية والعمل التلقائي". ويرى "عبد العزيز كامل" "أن الأسرة العربية تعاني من السلطة الأبوية الصارمة وهي سلطة تتمثل في قهر الأبناء وحرية الرأي....".

كما يرى في هذا الإطار "حليم بركات" "أن بنية العائلة العربية تقوم على أساس الطاعة حيث يتوجب على الصغار الطاعة العمياء للكبار وذلك في إطار علاقة سلطوية مفعمة بالإكراه، فالتواصل بين الكبار والصغار يتم عموديا ويأخذ هذا الاتجاه من فوق إلى تحت على حد تعبير "حليم بركات" طابع الأوامر والتهديد والتلقين والمنع والتحذير والتخويف والتوبيخ والتنديد والتخجل والاستهزاء والشتم

ثقافة الحوار الأسري ودورها في وقاية الأبناء من الانحراف
في المجتمع الجزائري المعاصر

والتحريم وتوليد الشعور بالذنب والقلق...وقد يقترن هذا من فوق إلى تحت بالعقاب والحرمان والغضب والصفع والإخضاع وكسر الشوكة والعنفوان. أما التواصل من تحت إلى فوق فيأخذ طابع الترجي والإصغاء والانصياع والاسترحام والتذلل والتجاوب، ويقترن ذلك بالبكاء والكبت والانسحاب وانحناء الرأس والمراقبة الذاتية وإخفاء الأسرار والمشاكل والتخفي والتحجج والمكر والمسيرة والاستغابة والحذر والإحساس بالذنب والقلق والخوف والرضوخ، ويأتي ذلك كله نتيجة لعلاقات الاستبداد التي تعتمد فلسفة تربية تقوم على التهيب وليس على الإقناع". ومنه تبين هذه اللوحة الأدبية لبركات مجموعة القيم التربوية السائدة في الثقافة العربية لاسيما في الأسرة العربية وهي كما يبين إكراه من الأعلى وإذعان من الأدنى، وهو في سياق وصفه الأدبي يبين لنا غياب ثقافة الحوار الأسري في ظل سيطرة فلسفة التهيب على حد تعبيره التي تؤكد القيم السلوكية السلبية. (علي وطفة، 1999، ص.ص.10-15).

وبالرجوع إلى واقع المجتمع الجزائري المعاصر يجزم استعمال العنف داخل الأسرة الجزائرية غياب ثقافة الحوار ووجود أزمة اتصالية تترجم تعذر تغليب لغة الحوار في الحياة الأسرية، وهو ما يرتبط ب بروز أزمات نفسية وسلوكيات انحرافية لدى الأبناء حيث يعد غياب ثقافة الحوار بوابة المشاكل الاجتماعية. على أساس أن عجز الأطفال في مجتمعنا عن التعبير عن شعورهم على خلاف المجتمعات الأخرى يتأتى من العجز عن الاتصال داخل الأسرة، وهذا العجز يعبر عن استعمال العنف بدل الحوار وعدم القدرة على الإصغاء إلى الآخرين خاصة المختلفين في الرأي وأزمة الاعتماد على الأوامر بدل النقاش. هذا وقد بينت في هذا السياق الدراسات أن الاتصال داخل الأسر الجزائرية يتم عن طريق التشدد والتسلط مما يسفر عن تمرد الأبناء في مخالفة القيم والمعايير المجتمعية وانحرافهم أخلاقيا وسلوكيا (نورة أ.، 2008).

وأكدت في هذا الإطار الأخصائية النفسية "سميرة فكريش" "أن مجتمعنا الجزائري يعاني من نقص كبير في لغة الحوار وأن هذه الظاهرة انتقلت من الأسرة

إلى المجتمع ككل كون الأسرة هي نواة المجتمع، مشيرة في حديثها إلى أن الأسرة الآن أصبحت نواة مكونة من أب أم وأطفال ما يجعل أن درجة الحوار تكون محدودة، أما عن الأسرة الممتدة التي كانت تطبع الأسرة الجزائرية في السابق كانت مكونة من جد وجدة، عم أب أم وأطفال وغيرهم حيث كانت تتميز بأنواع كثيرة من أساليب الحوار التي كان تأثيرها ايجابيا". كما أضافت "سميرة فكراش" في ذات السياق "أن من أبرز العوامل المؤثرة في حدوث شقاق ومشاكل في العائلة الجزائرية التي تنتهي بتفكك الأسرة وتسارع انهيارها هو غياب ثقافة الحوار والاتصال بين الزوجين، حيث أن أغلب الأزواج يلجئون إلى تبرير ما يعترضهم من مشاكل إلى التقصير من أحد الطرفين بتبادل الاتهامات دون الجلوس للحوار ومناقشة الأمر بعقلانية وتفهم مسبق حيث يبقى الضحية في الأخير الأبناء. وأن الأسلوب الحوارية هو من أكبر الغائبين في المناهج المتبعة للوصول إلى الحلول في البيت الجزائري، ووجوده فيها إنما هو ثانوي قد يطال المسائل الترفيمية والحديث عن كرة القدم بين الأب وابنه أو الحديث عن متطلبات العيش. على أن غياب لغة الحوار بين الزوجين يعني بالضرورة غيابها عن الأبناء طالما أنهم لم يألفوها في أسرهم وهو ما يجعلهم يلجئون إلى أساليب العنف في حل مشاكلهم". (علماء النفس، 2015).

وبناء عليه فإن التساؤل في هذا الإطار حول أسباب انعدام الحوار في كثير من البيوت الجزائرية أمر يستحق البحث فيه هنا. ومن الأسباب التي تؤثر في غياب ثقافة الحوار في الأسرة الجزائرية وتجعل أفراد الأسرة يعرضون عن الحوار على نحو شبه تام نذكر تأثير أساليب التربية التقليدية التي تورث الخجل والتردد والكبت، وتتبع أساليب التلقين والردع والتوبيخ وسيادة مبدأ التعصب والقهر والإذلال وفرض الآراء بالقوة، وتمنح السلطة للأب في إدارة الحوار داخل الأسرة مهما اختلفت المواضيع حتى وإن تعلق الموضوع بالحياة الشخصية والقرارات المصيرية للأبناء بمختلف مستوياتهم العمرية، وحتى إن كان منهم الأبناء المراهقين الذين هم في مرحلة حرجة تحتاج إلى التحاور والتواصل المستمر معهم فإنه لا يتم الإشراف عليهم بأساليب تربوية تعتمد الحوار والنقاش، ولا يولي لهم الأب الاهتمام الكبير والرعاية الكافية والاستماع إلى انشغالاتهم التي قد تتحول مع مرور الوقت

إلى مشاكل تؤثر في بروز الانحراف الأخلاقي والسلوكي لهؤلاء الأبناء المراهقين بحيث تضع الأولياء في مأزق كبير يهدد استقرار الأسرة. (الحوار....الحلقة المفقودة داخل الأسر الجزائرية).

على اعتبار أن مصدر الأزمة الاتصالية يكمن في كون الاتصال داخل الأسرة الجزائرية خط يعكسه احتكار الأب للحوار والاتصال فهو من يلقي الأوامر التي يجب أن تنفذ جبرا - ولا يهم إن كان مخطئا أو صائبا- من قبل الأبناء دون نقاش مع عدم سيادة مبدأ الإقناع بالحجة والمنطق، حيث لا تمنح للأبناء الفرصة لإبداء رأيهم حولها أو لأجل تبرير موقفهم تجاه مشكل معين كانوا طرفا فيه أو الدفاع عن أنفسهم. ومع الأسف فإن هذه اللغة الفوقية والسيادية تغزوا أسرا جزائرية كثيرة التي تنتج اليوم جيلا عنيفا لا يفهم إلا بالقوة، ويكفي أن نرجع إلى الدراسات والأبحاث السوسولوجية الحالية في هذا الشأن التي تدعو أرقامها إلى دق ناقوس الخطر فالعنف بات متفشيا في المجتمع الجزائري بشكل رهيب في المدارس والأحياء والبيوت، وكل هذه المشاكل والتصادمات التي تعيشها الأسرة الجزائرية اليوم، والتي تؤدي بها في النهاية إلى التفكك والطلاق وانحراف الأبناء وارتكابهم للجرائم، يمكن تفادي جزء منها لو قام فقط أفراد الأسرة المعنيون بالتحاور فيما بينهم بهدوء للتوصل إلى الحلول الممكنة والحفاظ على تماسك الأسرة (سامية حمادن، 2014).

وعلاوة على ما تقدم نشير إلى أنه قد كان للتغيرات التي تعرضت لها الأسرة الجزائرية في بنيتها تأثير في غياب ثقافة الحوار وبروز أزمة التواصل بداخلها، وهذا تحت تأثير مجموعة من العوامل الخارجية التي أثرت على قيامها بدورها المنوط بها في التنشئة الاجتماعية الفعالة للنشء، ونذكر منها العوامل الاقتصادية التي أدت إلى دخول المرأة إلى عالم الشغل وإهمالها لجانب كبير من مسؤولياتها تجاه أبنائها وقيام وسائط أخرى بهذه المسؤوليات، حيث أثر ذلك في تغير دور الأم كمرسل ومتلقي في آن معا والذي أثر بشكل كبير على عملية التواصل داخل الأسرة باعتبار الأم هي مركز تلقي بدرجة كبيرة لانشغالات أفراد الأسرة كلها خاصة المتعلقة منها

بالأبناء، ذلك أن عمل المرأة قد حال دون قيامها بدور المتلقي والموجه (شليغم غنية، حماني فضيلة، ص4). على أن انشغال الأب والأم بالعمل واللهيات وراء لقمة العيش لتوفير الحياة الكريمة لأبنائهم وقلة مكوثهما في البيت قد أثر في عملية التواصل الأسري، حيث أن متطلبات الحياة الحديثة قد زادت إلى حد جعل الوالدين يقضون ساعات طويلة في العمل وأحيانا يكون عمل الزوجة صباحيا وعمل الأب مسائيا (عبد الكريم بكار، 2011، ص.ص.23-25).

كما يمكن إرجاع أسباب انعدام ثقافة الحوار في الأسرة الجزائرية إلى تباين المستوى الثقافي والعلمي بين أفراد الأسرة حيث يقلل من فرصة الحوار بين الأزواج والأبناء وذلك ظنا منهم بعدم فهم كل طرف للآخر، فضلا عن جهل الوالدين بأساليب الحوار الفاعلة مع الأبناء وضعف الثقة بقدره الحوار على إحداث النتيجة المطلوبة وعدم أخذ الحوار على محمل الجد بكونه ترفا زائدا للأبناء يمكن الاستغناء عنه (حصّة بنت عبد الرحمن الوالي، 2010، ص.98). ومن العوامل الأخرى التي أثرت بشكل كبير ملفت للنظر في غياب ثقافة الحوار في الوسط الأسري الجزائري في العصر الحالي التقدم التقني السريع في مجال الاتصال والبيث الفضائي الذي عمل على إضعاف الروابط الأسرية وتقليل فرص تواصل الأسر الجزائرية وتحاورها، وقد وفر لكل فرد من أفراد الأسرة إمكانية الانعزال عن أسرته والتواصل مع العالم الخارجي. فلو دخلنا اليوم إلى أي بيت جزائري فسنرى صور عديدة حقيقية وليست وهمية من العزلة، أحيانا نرى الأسرة مجتمعة حول جهاز التلفاز لمتابعة مسلسل أو فيلم وقد علاها الصمت المطبق، وبعد جلوس ساعة أو ساعتين في هذه الحالة يتذكر كل واحد ما عليه من واجبات ومسؤوليات فيسرع إليها دون أن يجد الفرصة لأي حديث مع من حوله. وفي أحيان أخرى يكون في غرفة كل ولد وتحت تصرفه كل أدوات التواصل مع العالم الخارجي من الانترنت والهاتف الجوال والتلفاز فهو مشغول بها ومتفاعل مع كل من هب ودب من الأصدقاء ومع من يعرف ومن لا يعرف (عبد الكريم بكار، 2011، ص.ص.23-25). حيث يقضي الأبناء الساعات الطوال في متابعة الفضائيات والجلوس أمام شاشات الحاسوب لتصفح الانترنت أو تشغيل أقراص مدمجة التي تحتوي على

الألعاب والأغاني والأفلام، أو الانفراد مع الهاتف الجوال، وهي الحالة التي أطلق عليها "فيراروتي" (Ferrarotti) اسم "نهاية المحادثة" (ماجد الزيود، 2011، ص.74).

وعلى هذا الأساس فقد أدى التطور المذهل والانتشار الواسع لتكنولوجيات الاتصال وأجهزتها الحديثة وأساليب استخدامها إلى التأثير في البناء الأسري، وهذا من خلال تجزئة الأسرة وضعف الروابط الأسرية مع زيادة حدة القصور في عملية التواصل، حيث فقدت الأسرة الجزائرية تماسكها إثر تعرضها للاختراق في منظومتها القيمية تحت تأثير تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة، حيث أصبحت شبكة الانترنت المصدر الرئيسي لإنتاج القيم الاجتماعية الجديدة وتوزيعها، مما أثر في انهيار منظومة القيم الأخلاقية والدينية وضعف سيطرة الأسرة على الأبناء ووقوعهم في الانحرافات الأخلاقية والسلوكية. فقد أصبح الأبناء الشباب يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي من أجل التحوار وطلب النصيحة بدل التوجه إلى الأولياء، ولا يخفى ما لهذه الوسائل من تأثيرات سلبية على مستخدميها من المراهقين غير الواعين (شليغم غنية، حماني فضيلة، ص.4).

على أن كثير من الشباب والمراهقين والمراهقات قد ينسوا من تواصل آبائهم معهم في الأسر الجزائرية وبحثوا لهم عن من يشكوا إليه همومهم ومشاكلهم ومن يثري عواطفهم ومشاعرهم وقد وجدوا ذلك في شبكة التواصل الاجتماعي، ولا يخفى على أحد اليوم أن لدينا في مجتمعنا عشرات الألوف من الفتيات اللواتي تورطن مع شباب في علاقات مشبوهة وكل ذلك بسبب الفراغ العاطفي وغياب الأهل الذين يرشدون ويساعدون ويسعدون. هناك فيض كبير من الدراسات واستطلاعات الرأي التي تؤكد أن الانحراف الأخلاقي والسلوكي للمراهقين والشباب كان بسبب فقدان الأذن التي تصغي إليهم والصدر الرحب الذي يتسع لمشكلاتهم وهمومهم وتقصير الأسر في التواصل مع أبنائها (عبد الكريم بكار، 2011، ص.ص.16، 17).

إن غياب الحوار الحقيقي مع الشباب قد أدى إلى نتائج كارثية مشاهدة وواضحة للعيان منها وقوع الشباب في التطرف والإرهاب وسيطرة عليه نزعة العنف والفكر المتطرف والمنحرف، فالإرهاب الذي عصف بأوساط المجتمع الجزائري في فترة العشرية السوداء وانجراف وراهه معظم الشباب الجزائري وتورطه فيه، قد كان أحد نتائج غياب ثقافة الحوار مع الشباب سواء في الوسط الأسري أو المجتمع ككل. فالحوار مع الشباب يعد ضرورة مجتمعية وصمام المجتمع ويفترض أن يبدأ الحوار معه من الأسرة مروراً بالمدرسة والمسجد والجامعة، فالحوار مع الشباب هو مسؤولية عامة يجب أن تكون مشتركة تتسم بالتكاتف والتنسيق باعتباره الحصانة التي يمنحها للشباب ضد أي تشويش فكري أو غزو ثقافي وما شابهه، وهو الضمانة الوحيدة لاستقرار المجتمع وأمنه بكل أشكاله الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية (دحام العززي، 2013).

فقد أثبت الواقع أن غياب ثقافة الحوار والتواصل مع الشباب على مستوى المجتمع الجزائري المعاصر قد أثر بشكل كبير في انتشار ظاهرة الجريمة في السنوات الأخيرة حيث أصبحت ظاهرة الاعتداء على الأصول ومحاولة الانتحار من أبرز الجرائم. ويقول في هذا السياق البروفيسور "دبلة عبد العالي" ".....إن أكيد انتشار الظاهرة تعود إلى القيم السلبية التي اكتسبها الفرد فضلا عن غياب المرجعية الدينية والتقليدية وهو ما يسمى بالضبط الاجتماعي، ولعل أبرز صورة تكمن في التشتت الاجتماعي كغياب الأم للعمل رفقة الأب وبقاء الطفل في الشارع، ربما الأمر الذي يجعلنا نقول إن الأسرة فقدت حلقة الاتصال أو دورها الفعال خاصة بعد ظهور العولمة.....". وفي رده على السؤال الخاص بمساهمة غياب التواصل والحوار في انتشار الجريمة يقول "إن غياب الضوء يؤدي إلى الظلام والدليل على ذلك أن الشباب الجزائري يكون في حالة صمت ولكن لما يدخل في دوامة القلق يصبح شابا مكسرا" (دبلة عبد العالي، 2013، ص.4).

وهذا نقول إن أهم "عوامل النهوض بالفئة الشابة العمل على فتح نوافذ الحوار المتمدن ونشر ثقافة الحوار التي تتطلب من الشباب أن يتخلى عن المراهنة والخوف، وإعلان آرائه وتربته على الجرأة في قول الحق دون الحاجة إلى التملق

والمديح المنافق واستيعاب الآخر واحترام رأيه وحقوقه، وتفعيل البحث عن الموضوعية بعيدا عن الأنانية والذاتية عن طريق تقييم الحوار والاعتراف بوجود الآخر المختلف واحترام حقه في الدفاع عن رأيه وموقفه، وفهم الآخر والتفاهم معه لا يتحققان دون أن تتسع ذاتنا وأنفسنا له، والحقيقة ليست في الأنا وإنما تتكامل مع الآخر لأن الحوار هو الآخر الذي يكشف ذاتنا وحقيقتنا" (محمد القضاة، 2017، ص.ص.1-3).

4. أسس وأساليب تعزيز ثقافة الحوار الأسري:

هناك مجموعة من الأسس والأساليب التي يمكن للأسرة التقيد بها واعتمادها لتعزيز ثقافة الحوار والتواصل المثمر والناجح بين أفرادها نستعرضها كالآتي:

إن جعل الحوار الأسري ناجحا ومثمرا يحتاج إلى بيئة من نوع خاص وإيجاد تلك البيئة يتطلب الاهتمام والمثابرة والذكاء، على أنه من المهم حين يجلس أفراد الأسرة للحوار في أي موضوع من الموضوعات أن يجلسوا وهدفهم الأول هو إذكاء العواطف النبيلة التي يحملها كل واحد منهم نحو الآخر وتقوية الصلات الروحية التي تجمعهم وذلك ضروري جدا لنجاح الحوار، ويأتي في المرتبة الثانية معالجة الموضوع أو المشكلة التي عقد الحوار من أجلها. على أنه حين يتحاور أفراد الأسرة فإن ذلك يعني الاعتراف أن من حق الكبار والصغار أن تكون لهم رؤيتهم الخاصة إلى جانب الاعتراف والتوقع بأن الحوار لا يفضي إلى اتفاق وتوحيد الرؤية، وهذا كله يعني أن على الأبوين وهما يحاوران الصغار أن يتحدثا ويتصرفا على أساس التكافؤ والندية، وهذا ضروري لنجاح الحوار أولا ولتشجيع الأبناء على المشاركة وقبول كل ما لديهم وتعزيز ثقتهم بأنفسهم وهو ما يعزز ثقافة الحوار الأسري. كما يجب الحرص على أن يظل الحوار حوارا ولا ينقلب إلى جدال، ذلك أن الحوار ينبغي أن يقوم على الاحترام المتبادل وتكون اللغة المستخدمة فيه ناعمة مع هدوء وبرودة الأعصاب وحين يفقد الحوار هذه السمات يتحول إلى جدال (عبد الكريم بكار، 2011، ص.ص.29-55).

هذا وحتى تنجح المهمة في تكريس ثقافة الحوار داخل الأسرة لابد من التقييد ببعض الأسس منها الثقة في تصرفات الأبناء وفي جدوى الحوار معهم وتجاوز الإحساس بصعوبة الحوار معهم، وأن الحوار معهم هو جزء لا يتجزأ من استكمال شخصياتهم وتنميتها بالصورة النفسية والاجتماعية والعاطفية الصحيحة. كما يجب التعرف على طريقة تفكير الأبناء وما يتحاورون فيه وما يشغل اهتمامهم من موضوعات وأسلوب الحوار فيها، وهذا حتى يمكن الدخول معهم في الحوار وتتم مناقشتهم بموضوعية، وتنطلق الآراء من الإحساس بالواقع وعدم الانعزال عنهم وتخصيص وقت للحوار وتبادل الآراء بين الوالدين والأبناء (حصّة بنت عبد الرحمن الوائلي، 2010، ص.86).

ومن أساليب تعزيز ثقافة الحوار الأسري العمل على الارتقاء بالحوار الأسري العام إلى مرتبة "الحوار المخملي" وهو مصطلح جديد أريد منه ذلك النوع من الحوار القائم على الأناقة واللفظ والتهديب الذي ينبغي أن يسود بين أفراد الأسرة، وهو مغاير للحوار الشعبي أو الحوار الموروث الذي ينطلق فيه الأفراد على سجيّتهم دون اهتمام بالتفاصيل ودون اهتمام بمشاعر المتحاورين وردود أفعالهم. على أنه في "الحوار المخملي" يكون هناك اختلاف بين أفراد الأسرة حول شيء وتكون هناك رغبة في الوصول إلى رؤية مشتركة أو قرار موحد، لكن لا يكون هذا هو المطلب الأول وإنما يكون التواصل والاندماج وتقوية الرابطة الأسرية هو المستهدف أولاً ويكون هو الثابت والمستمر الذي يجري في ظله كل حوار، ومن ثم نجد درجة عالية من التسامح والقبول المتبادل وكأنه ليس هناك خلاف أو نزاع في مسألة من المسائل.

إن المرابي المتشعب بأدبيات "الحوار المخملي" يقلل من المواعظ والتوجيهات إلى الحد الأدنى مراعاة لمشاعر الشريك (زوج أو زوجة) والأبناء، وعضوا عن ذلك يتحدث عن تجاربه الشخصية وتجارب غيره ويوفر أولاً المناسبة والسياق لذلك. إن مراعاة المشاعر لا تعني مداراتها فحسب وإنما تعني إنعاشها وتغذيتها أيضاً، ومن المهم إضفاء المرح على جلسات الحوار ولقاءات الأسرة والمحادثات الثنائية بين الأبوين وبينهما وبين الأولاد وبين الأولاد بعضهم مع بعض. ومن هنا فإن الحوار لا

يمكن أن يكون مخمليا كما لا يمكن إنعاش مشاعر الأسرة من غير شيء من المرح والسرور والضحك والمزاح في إطار التوازن والاعتدال. حيث يعتمد "الحوار المخملي" على التأنق في التعبير بوصفه العمود الفقري له لأن المرء من خلاله يستطيع أن يناقش أعقد القضايا والتطرق لأكثر الموضوعات حساسية دون أن يؤذي أحدا أو يسيئ إلى أحد. على أن أناقة اللسان هي ترجمة لأناقة الروح والذين يستخدمون تعبيرات خشنة يحملون بين جوانحهم نفوسا لم يصقلها التهذيب على النحو المطلوب، وإن الناس صغارا وكبارا ينتظرون اليوم من بعضهم المزيد من اللطف في الخطاب والشفافية والذكاء اللماح، وهذا بسبب التقدم الحضاري والعمراني الذي نشهده على كثير من الأصعدة. وهذا هو نبينا (صلى) يدعونا إلى التأنق في اللفظ حين يقول "الكلمة الطيبة صدقة" - رواه البخاري- أي الكلمة الحسنة التي تستلذها الأذن والخالية من الأذى (عبد الكريم بكار، 2011، ص.ص.29-55).

ويذكر في هذا الإطار الدكتور "محمد بولوز" الباحث في الشؤون التربوية " إنه من آليات التواصل الأسري بذل الجميع للجميع الكلمة الطيبة واختيار الألفاظ المناسبة وأدب التحية وإفشاء السلام وتزيين الوجه بالابتسامة، واعتماد أسلوب الهدايا ولو كانت رمزية واغتنام الفرص المناسبة للتقرب والتودد والتحبب كالأعياد والمشاركة في المسرات وكذا المشاركة الوجدانية في الأوقات العصيبة، وكذا الاجتهاد في تنويع وسائل إدخال السرور على نفسية الزوجة والأولاد بالرحلة والجولة والاصطياف، ومصاحبتهم لبعض التمارين الرياضية وتناول الوجبات خارج البيت كلما يسر الله الظروف والأحوال.....وكلما قدر أفراد الأسرة على عقد مجلس أسري كل أسبوع أو حتى كل شهر للتداول في شؤون الأسرة المادية والمعنوية، ومسح صفحة القلوب بشيء من العتاب اليسير والتسامح والتغافر وبعض المواد التربوية الخفيفة كشرح آية أو حديث أو مقطع من السيرة النبوية الشريفة، أو قراءة ثمن أو ربع من القرآن الكريم أو سرد قصة هادفة أو شيء من النكات البريئة الهادفة، كل ذلك ومثله يعمق التواصل والترابط" (حسن الأشرف، 1430، ص.ص.5-7).

هذا ولكي يكون الحوار الأسري ايجابيا وبناء لابد من توفر مجموعة من الأسس هي على الشكل التالي:

- إحسان الظن وصفاء النية وذلك لتأثيرهما في العواطف والانفعالات ولأن حسن الظن له تأثير في حسن سير المناقشة ونهايتها، ثم إن ذلك يؤثر بدوره على اللسان واختيار الألفاظ والأساليب الحسنة، وكل ذلك يعد بمنزلة مفتاح لتقبل ما يلقي من الأفكار والاقتراحات أو النقد البناء، والتأكيد على الأبناء بعدم مقابلة الإساءة بالإساءة إنما لابد أن يتخلقوا بالأدب أثناء الحوار.
- أن يكون الهدف الأول من المناقشة هو الوصول إلى الحقيقة وهذا يتطلب التخلي عن النظرة الشخصية للوصول إلى حل المشكلات.
- أن ينظر أفراد الأسرة أثناء الحوار إلى أن الاختلاف القائم هو اختلاف في وجهات النظر يمكن تلافيه.
- البدء بالأساليب البناءة والجوانب الإيجابية قبل طرح السلبيات فالبدء بالسلبيات يوحى بالعدوانية ويثير غضب الآخرين في حين أن البدء بالايجابيات يثير التعاطف ويؤدي إلى حسن الاستماع.
- التدرج في الحوار والمناقشة تدرجا يعين على الوصول إلى الحقيقة التي تسهم في الإقناع لأن التدرج في الحوار له أثر في نفوس المتحاورين.
- أن يقابل المتكلم بحسن الإصغاء والاستماع وأن تتوفر الثقة بين أطراف الحوار في الأسرة. (حصّة بنت عبد الرحمن الوائلي، 2010، ص.86).

خاتمة:

في ضوء ما سبق نخلص إلى القول إن الأسرة الجزائرية هي أحوج في الوقت الراهن وأكثر من أي وقت مضى إلى ترسيخ ثقافة الحوار في محيطها، والتي باتت ضرورة حتمية لابد من تنميتها وتفعيلها إزاء التحديات التي تواجه هذه المؤسسة الاجتماعية الهامة في ظل مجتمع معاصر يعيش في حالة ديناميكية مستمرة مسيرة للتغيرات العالمية المعاصرة، وما صاحب ذلك من انفتاح وتفاعل ثقافات الشعوب مع بعضها البعض في زمن العولمة، حيث كان للثقافة الوافدة الناجمة

ثقافة الحوار الأسري ودورها في وقاية الأبناء من الانحراف
في المجتمع الجزائري المعاصر

عنها وآلياتها ووسائلها التقنية الناقلة لها والمثلة في تكنولوجيا المعلومات والاتصال، الأثر الكبير في تغيير بناء الأسرة الجزائرية وتركيبها ووظائفها والتي عصفت بكيانها وزعزعة استقرارها، وأثرت في تراجع هذه المؤسسة الأسرية عن أداء دورها التربوي تجاه الأبناء وفي ممارسة الضبط الاجتماعي عليهم وتحصينهم من الانحراف السلوكي، واختزنت نسقها القيمي إذ حلت محل القيم الأصلية الموروثة قيم ذات صبغة براجماتية نفعية، وأضعفت الروابط الأسرية وقطعت حبل التواصل بين أفراد الأسرة الواحدة وعملت على إحلال لغة الصمت- التي تكرر العزلة والتفوق- محل لغة الحوار والتفاعل الأسري.

ومن هنا تصبح ثقافة الحوار أسلوبا فاعلا للإصلاح يسهم بدرجة كبيرة في التقارب بين الآباء والأبناء وتعزيز الروابط بينهم وحل النزاعات والخلافات التي توجد بين الزوجين، وإشاعة روح التسامح والمحبة والتماسك بين أفراد الأسرة بخاصة في ظل الظروف العصيبة والأزمات المتراكمة. فبالتواصل مع الأبناء منذ مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة فالشباب، وعن طريق الحوار الإيجابي المثمر يتم إبراز اهتمامات وانشغالات الأبناء وحل المشكلات التي تواجههم بعيدا عن التعصب والعنف مما يقيهم من الوقوع في مزالق الانحراف.

هكذا فإن الأسرة الجزائرية هي مطالبة اليوم برفع التحدي بالتكيف مع التغيرات العالمية المعاصرة المتسارعة والمتلاحقة من خلال تعزيز دورها في العملية التربوية، وتجاوز الأساليب التربوية التقليدية التي تقوم على الإفراط في استخدام السلطة الأبوية وأساليب القمع النفسي والجسدي في تربية الأبناء، وتبني بدلا عنها أساليب تربوية حديثة تتماشى مع روح العصر ومتطلباته وتعتمد على الحوار المنفتح والتواصل الفاعل في تنشئة الأبناء تنشئة سليمة صالحة. وهذا باعتبار الأسرة الوحدة الاجتماعية الأساسية التي تلقى على عاتقها بالدرجة الأولى مسؤولية صياغة مواطن المستقبل، وترسيخ في روحه مبادئ الحوار وثقافته وقيم التسامح وتقبل التنوع الفكري واختلاف ثقافة الآخر والتحاور والتعايش السلي مع. هذا

إلى جانب مسؤولية الأسرة في بناء مجتمع الغد والمحافظة على كيانه من خلال ما تؤديه من وظائف اجتماعية نحوه.

توصيات:

نختم هذه الورقة البحثية باقتراح مجموعة من التوصيات التي تصب في

الاشكالية العامة المتناولة بالتحليل والتي نستعرضها على النحو الآتي:

- توعية الأسرة الجزائرية بمعنى الحوار وأهميته في الوقاية من المخاطر والانحرافات التي قد يقع فيها أفراد الأسرة وبخاصة منهم الأبناء، وهذا عبر استخدام مختلف وسائل الإعلام والاتصال والعمل على التثقيف من البرامج الإذاعية والتلفزيونية المتخصصة في مجالات التربية وقضايا الأسرة، حيث يشكل الوعي بأهمية هذه المسألة الخطوة الأولى لبذل المزيد من العناية والاهتمام بأسلوب التربية الحوارية وترسيخ ثقافة الحوار على مستوى المحيط الأسري.

- تفعيل دور الأخصائي الاجتماعي في مجال الإرشاد الأسري من خلال تقديم إرشادات وتوجيهات من شأنها وقاية الأسرة الجزائرية من احتمالات التفكك والتصدع، وتلقيها أسس ومبادئ الحوار والتواصل الفاعل بين أفرادها وكيفية المحافظة على استقرارها عن طريق ترسيخ ثقافة الحوار.

- ضرورة حث مؤسسات المجتمع المدني على تقديم إسهامها في نشر وتعزيز ثقافة الحوار في المجتمع الجزائري برمته باعتبارها مسؤولية يجب أن يضطلع بها الجميع، وذلك من خلال دعوة المسجد إلى أداء دوره في ترسيخ قيم الحوار والتواصل الاجتماعي ونبذ العنف والتأكيد على أهمية التربية الإيمانية للأبناء، هذا فضلا عن الدور الفاعل الذي يمكن أن تؤديه الحركات الجمعوية في نشر ثقافة الحوار بين فئة الشباب وممارستها في البيئة الأسرية والاجتماعية عبر الحملات التحسيسية والنشاطات التي تنظمها.

- العمل على تناول بالدراسة والبحث العلمي المعمق إشكالية ثقافة الحوار والعوامل المؤثرة في غيابها على مستوى الأسرة الجزائرية والبحث في ثناياها عن أبرز معيقات التواصل الأسري وكيفية تذليلها.

ثقافة الحوار الأسري ودورها في وقاية الأبناء من الانحراف
في المجتمع الجزائري المعاصر

- إدراج مادة ثقافة الحوار في المقررات والمناهج التعليمية وتدريبها في مختلف الأطوار التعليمية من المؤسسة التربوية إلى المؤسسة الجامعية، وهذا لترسيخ ثقافة الحوار لدى الطفل والشباب.

- من الأهمية بمكان أن يتم مد جسور التواصل بين الأجيال -جيل الأُمس وجيل اليوم- وهذا عبر إشراك جيل الشباب في عملية التنمية الاقتصادية ومساهمته في تقدم المجتمع، فمرحلة الشباب تعد من أهم وأخطر المراحل العمرية حيث يرتبط العنف أساسا بهذه المرحلة الشبابية باعتباره الوسيلة الأقرب والأسهل لدى الشباب لحل مشكلاته والحصول على طلباته وتحقيق رغباته المكبوتة، وهذا خاصة في حالة إذا لم يجد آذان صاغية تصغي إلى معاناته وانشغالاته. وعليه ينبغي ترك باب الحوار مفتوحا مع الشباب والاستماع إليه واستثمار طاقاته في تطوير المجتمع من خلال منح له فرص العمل وتغليب لغة الحوار على لغة العنف، على نحو يمكن امتصاص غضبه وحمايته من الانحراف وارتكاب الفعل الإجرامي.

قائمة المراجع:

1. تيليوي عابد، عاشور زينة، "أفراد الأسرة الجزائرية في عصر العولمة بين الاتصال والعزلة"، الملتقى الوطني حول "الاتصال وجودة الحياة في الأسرة"، جامعة ورقلة، 10-09 أفريل 2013.

2. حصة بنت عبد الرحمن الوايلى(2010). الحوار الأسري التحديات والمعوقات - دراسة وصفية تحليلية-، الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، إدارة الدراسات والبحوث والنشر.

3. خيام محمد الزعبي، "ثقافة الحوار في مؤسساتنا التربوية"، الحوار المتمدن، العدد 4293، 2013/12/02، متاح على الرابط:

<https://www.alhewar.org/debat/show.consulté> le : 10/09/2017.13h15

4. حسن الأشرف، "التواصل الأسري.....المشكلة والحل"، موقع المسلم، 19 صفر 1430، متاح على الرابط:

<https://www.almoslim.net.consulté> le : 12/09/2017.21h15

5. دحام العنزي، "الحوار مع الشباب بين الواقع والمأمول"، 26 مارس 2013، متاح على الرابط:

<https://www.alsharq.net.sa.consulté> le : 12/09/2017.16h05

6. دبله عبد العالي، "الاتصال والحوار يساهمان في تكريس الثقافة الأمنية ويقللان من الجريمة"، يومية السلام، 18 ديسمبر 2013، متاح على الرابط:

<https://www.essalamonline.com.consulté> le : 12/09/2017.17h25

7. سامية حمادن، "الحوار...اللغة التي لا تفهمها الأسرة الجزائرية؟"، يومية الفجر، 22 فيفيري 2014، متاح على الرابط:

<https://www.al-fadjr.com.consulté> le : 07/09/2017.18h05

8. شليغم غنية، حماني فضيلة، "الاتصال الأسري والواقع الاجتماعي المعاصر"، متاح على الرابط:

<https://www.manifest.univ-ouargla.dz.consulté> le : 10/09/2017.13h00

9. عبد العزيز الخضراء(2014). " دور الأسرة في ترسيخ ثقافة التسامح ونبذ الكراهية"، متاح على الرابط:

<https://www.alghad.com.consulté le : 10/09/2017.13h05>

10. عبد العزيز الخضراء(2012). "ثقافة الحوار وأثرها في تربية الأبناء"، العدد 56، متاح على الرابط:

<https://www.albahethon.com.consulté le : 08/09/2017.16h15>

11. علي وطفة(1999). "مظاهر التسلط في الثقافة والتربية العربية المعاصرة"، قسنطينة: مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، العدد 11.

12. علماء النفس: "الحوار داخل الأسرة الجزائرية ثانوي"، أخبار محلية، وقت الجزائر، 10 يونيو 2015، متاح على الرابط:

<https://www.wakteldjazair.com.consulté le : 07/09/2017.16h05>

13. عبد الكريم بكار(2011). التواصل الأسري -كيف نحمي أسرتنا من التفكك-، ط3، الرياض: دار وجوه للنشر.

14. فهد بن عبد الله البكران، "ثقافة الحوار المفهوم والمصطلح"، الحوار اليوم، 11 ماي 2014، متاح على الرابط:

<https://www.alhiwartoday.net.consulté le : 08/09/2017.16h10>

15. ماجد الزيود(2011). الشباب والقيم في عالم متغير، الأردن: دار الشروق للنشر.

16. متابعات ينابيع، "مفهوم الحوار الأسري"، عيون نت، 2010، متاح على الرابط:
<https://www.eyooon.net.consulté le : 08/09/2017.16h05>

17. موسوعة زنوبيديا، "أهمية الحوار الأسري"، 7 سبتمبر 2011، متاح على الرابط:

<https://www.zainopedia.blogspot.com.consulté le : 10/09/2017.13h10>

18. مصطفى يوسف كافي، هندسة الحوار والإقناع، ط1، الأردن: دار الحامد للنشر، دون سنة.

الأستاذة: بوشول ليلي

الدكتورة: طايبي رتيبة

19. محمد القضاة، "تعزيز ثقافة الحوار ضرورة مجتمعية"، صحيفة الرأي، 28 مارس 2017، متاح على الرابط:

<https://www.alrai.com.consulté le : 12/09/2017.20h10>

20. مقال منشور على شبكة الانترنت بعنوان: "الحوار.....الحلقة المفقودة داخل الأسر الجزائرية"، متاح على الرابط:

<https://www.elmaouid.co .consulté le : 07/09/2017.17h20>

21. نوار أ.، "أزمة الاتصال داخل الأسرة الجزائرية مشكلة تترجم طغيان لغة العنف"، يومية المساء، 27 جوان 2008، متاح على الرابط:

<https://www.djazairiess.com.consulté le : 08/09/2017.17h05>